المحور الأول: الدراما مفاهيمها وأنواعها

1. المحاضرة الأولى: في تعريف الدراما ونشأتها :

- التعريف اللغوي:

دراما DRAMA كلمة يونانية الأصل وتعني DRAN أو "DRAO"[i]، ومعناها الحرفي يفعل أو عمل يقام به، ثم انتقلت الكلمة من اللغة اللاتينية DRAMA، إلى معظم لغات أوربا الحديثة [ii]، فمعنى كلمة دراما باليونانية DRAMA = الفعل لا الحدث، "لأن الفعل صفة لاصقة بالإنسان وحده، ولأن ما يتحكم في الفعل هو الإرادة الإنسانية وحدها، أما الحدث فليس بالضرورة من أفعال البشر ولا نتاجا عن إرادتهم الإنسانية "[iii]، وترجمة دراما إلى الانجليزية TO PERFORM، وبالعربية يؤدي أو يفعل [iv]، إذن الدراما لغة هي أداء فعل معين يولد حدثا معينا، ولم يختر لها الإغريق كلمة سوى الفعل للدلالة على كل الفنون المتعلقة بالمسرح حيث تتم المحاكاة عن طريق التمثيل.

و"عندما انتقلت الكلمة دراما إلى اللغة العربية، انتقلت كلفظ لا كمعنى"[v]، أي أنها وصلتنا من لغتها كما هي من حيث النطق، أما معناها الحقيقي فظل غامضا، أو "أن استعمالها كعنوان لنوع معين من الفن، جعلها إحدى تلك الكلمات التي يصعب تفسيرها، أو شرحها في بضع كلمات أو جمل"[vi]، فقد نصادف في حياتنا اليومية استعمالات متعددة للكلمة تبتعد عن معناها الحقيقي، فالبعض ارتبط في ذهنه بالمأساة والحزن، فيقول أحدهم مثلا: هذه القصة درامية، وهو يقصد أنها حزينة أو ذات نهاية مأساوية. أما البعض الآخر فيستعملها رديفا للمسرحية ، دراما = مسرحية.

- التعريف الاصطلاحي:

حاول بعض المترجمين والمفسرين إعطاء شروحات للدراما - في القواميس خاصة - على أنها قصة أو رواية أو تمثيلية أو دراما[vii]، التي تبدو أنها مختصرة وبعيدة عن المعنى الحقيقي والدقيق، وقد تكون الدراما نصا نثريا أو

شعريا تروى فيها الأحداث والمواقف عبر الحوار والحركة لتكون قابلة للعرض على خشبة المسرح بمصاحبة العناصر الأدائية[viii].

عرف أرسطو الدراما بأنها "محاكاة لفعل الإنسان"[ix]، ولقد حاول THE COMPANION TO THE THEATRE OXFORD محاولة موفقة إلى حد ما فأعطى تعريفين لكلمة الدراما على الوجه التالي:

- يطلق بشكل عام على كل ما يكتب للمسرح؛ كأن يقال الدراما الإنجليزية والدراما الفرنسية، أو على مجموعة من المسرحيات تتشابه في الأسلوب أو في المضمون، مثل الدراما الواقعية أو دراما عصر النهضة، أو الدراما الملحمية وغيرها.

- أو "على أي موقف ينطوي على صراع، ويتضمن تحليلا لهذا الصراع عن طريق افتراض وجود شخصيات]...[، وقد تستعمل الكلمة - بمفهوم أضيق- في تعريف مسرحيات ذات مضمون عاطفي]...[ورغم أن هذا التعريف قد وضع بعض النقاط فوق بعض الحروف ، إلا أنه لا زال - في رأينا - قاصرا، عن الإحاطة بجميع المعاني التي توحي بها كلمة دراما"[x]، "فالدراما شكل من أشكال الفن، قائم على تصور الفنان لقصة تدور حول شخصيات تتورط في الأحداث، هذه القصة تحكي نفسها عن طريق الحوار المتبادل بين الشخصيات، دون أن يتدخل الفنان بالشرح أو برواية ما يحدث]...[والفن الدرامي هو ذلك الذي تكون الكلمات فيه، هي وسيلة التعبير عن أفكار ومشاعر ورغبات الأشخاص الذين تخيلهم الكاتب]...[، فباستعمال الكلمات وحدها يخلق الكاتب الدرامي الشخصيات، وكذا الأحداث التي تورطوا فيها هذه الأحداث تأخذ شكل حبكة لها شكل وهدف، وتلتزم بالخلفية وبالزمان والمكان، التي يتصور الكاتب أن الأحداث وقعت فيها والحديث الدرامي لا يقتصر على التعبير عما يجري بين الأشخاص، بل يتولى توضيح الأفعال التي يقومون بها]...[داخل حدود العالم الدرامي الذي يتصوره الكاتب، والعلاقة الدرامية صراع، هذا الصراع غير قاصر على علاقة الأشخاص بعضهم ببعض، بل يمتد إلى علاقاتهم بالقوى المختلفة المحيطة بهم"[xi].

تقدم الدراما على أنها شكل من أشكال الأدب،"إلا أن المفاهيم العلمية والنقدية استقرت على أن الدراما نوع من الأدب المعد للتمثيل؛ أي أن يتقمص ممثلون أشخاص النص]...[، وهذا ما يميز النصوص الدرامية عن غيرها، من النصوص الشعرية والسردية قابليتها للتمثيل والتقديم للجمهور، من خلال عرض مسرحي"[xii]، وهي بذلك نظرية ترى أن الفن الدرامي لا يكتمل إلا بالعرض، "فالعمل الدرامي مكتوب، لكنه مكتوب لكي يمثل"[xiii]، أو نستطيع أن نقول أن الدراما هي الروح، والعرض هو الجسم الذي تتجسد من خلاله .

بعد كل التعريفات، التي تكاد أن تكون سليمة لكنها غير مطلقة لتغير طريقة المحاكاة فيها، فيمكن للمسرحية أن تكون دون حوار بين شخصيتين فتتعداه إلى مونودرام تحكي قصة بين شخصيات يتقمصها ممثل واحد، كما يمكن للمسرحية أن تكون مرتجلة دون نص كما كان في الكوميديا دي لارتي [xiv]، أو أن تكون غير قابلة للعرض كما في المسرح الذهني، لذا يسميه البعض مسرح الفكر ومنهم الشاعر الفرنسي"الفريد دي فيني" الذي كتب عن مسرح الفكر ومن قبله "شك سبير"، الذي تحدث عن مسرح يعتمد على الأفكار الاجتماعية [xv]، وبعدها غدا الفكر في الدراما الحديثة عنصرا أساسيا من عناصر المسرحية الأوروبية، يسير جنبا إلى جنب مع الشعور و إن كانت نسبة حضوره تتفاوت من مسرحية لأخرى بسبب اتجاه المؤلف ومذهبه.

---

[i]- ينظر، عادل النادي، مدخل إلى فن كتابة الدراما، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط 1، 1987، ص09.

[ii]- ينظر، محمد نصار وقاسم كوفحي، تذوق الفنون الدرامية، ط2، عالم الكتب الحديث للنشر التوزيع، الأردن، 2000، ص253.

iii- محمد حمدي إبراهيم، نظرية الدراما الإغريقية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط 1، القاهرة، 1994، ص09.

iv- ينظر، أحمد إبراهيم، الدراما و الفرجة المسرحية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2006، ص18.

v- ينظر، حسين رامز محمد رضا، الدراما بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1972، ص27.

vi- م ن، ص27 .

vii- ينظر حسين رامز محمد رضا، الدراما بين النظرية والتطبيق، م س، ص28.

[viii]- ينظر، مارتن إسلن، تشريح الدراما، تر: أسامة منزلجي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 1، 1987، الأردن، ص09.

ix - ينظر، محمد نصار، قاسم كوفحي، تذوق الفنون الدرامية، م س، ص7.

x- حسين رامز محمد رضا، الدراما بين النظرية والتطبيق، م س، ص 28.

xi- م ن، ص 29/28.

xii أحمد إبراهيم، الدراما و الفرجة المسرحية، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006، ص45.

xiii إبراهيم حمادة، اللغة الدرامية (العناصر غير المنطوقة والعناصر المنطوقة)، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص187.

xiv- ينظر، مارتن إسلن، تشريح الدراما، تر: أسامة منزلجي، م س، ص10.

[xv]- ينظر، فؤاد دوارة، الأصول الفكرية لمسرح توفيق الحكيم، مجلة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع 75، سبتمبر 1978، ص5. نقلا عن، إميمون بن براهيم، المرجعية الاجتماعية لمسرح توفيق الحكيم، أطروحة دكتوراه، إشراف: أحمد مسعود، جامعة وهران، 2011، ص156.